

من الأدب الإنجليزي

دفاع الشيخ عن عرضه

للأستاذ الإنجليزي سير جون وارد

للأستاذ محمد لطفي جمعة

—

جلس لورد آشل أوف بلاكوري كاسل وهيلدا بريكفيلد واردة بارون أوف كليرمونت ، ينظران إلى الشفق ، وقد توارت الشمس بالحجاب ، وقد هبط عليهما وحى الحب ، وسرت فيهما نشوة للفرام ، إذ رأها الشفق ضحبي لذة وصبوة ، وكان لكل منهما ما ذكره بماضى مباحج الحياة . وكانا مجتمعين خلصة في غيبة والدها بارون أوف كليرمونت الذي كان يعارض في زواجها من حبيبها لورد آشل ، الشاب الذي قضى معظم شبابه في المغامرات والفروسية ، ومناصرة الملك شارل على ويليام أوف أورانيج ، الذي غزا البلاد ، واغتصب العرش والتاج . وإذ كانت الفتاة والفتى يرتشفان كأس السعادة في تلك الخلوة التي كانت حلماً من الأحلام ، فرغت واستيقظت من غفوة الهناء ، على غير انتظار . وماذا رأت ؟ وما هول ما رأت ! أي عيتين هاتان البراقتان ؟ هماقماً عينا أبيها البارون الشيخ نصير وويليام أوف أورانيج ، وأحد أبطال الموقعة الحاسمة التي خضبت دماء هاستنجز بالدماء ، وأقصت الملك الشرعي عن البلاد ... ثم صرخت اللادي الشابة ناهضة وخرت صارخة وقد تنازعها الحزن والفرح ، وتوزعها الخوف والرجاء ؛ وإنها على فرط حبها أباه لم تملك أن شعرت عند رؤيته بفرع ورعب منه وهو يراها بين ذراعي حبيبها الذي يغمضه وعقته ويتربص به الدوائر ، بعد أن أقصاها عنه وحرم عليها اللقاء ، فنار لورد آشل لميحة حبيبته وأمسكها ساقطة ثم عمد إلى الجدار ، فتناول حسامه بأمرع من اللحم ليحمل على الذي سبب كل ذلك الرعب . وكان البارون المسن والشيوخ الهام لا يزال صامتاً ، فلما رأى الفتى يجرد حسامه ويستعد لئزاله ابتسم هازئاً وقال :

« إن بأدنى مسع مني ألوفاً يحملون البيض المشرفية ، والسر السمومية ، فضع سيفك يافتي ، ولا تكن غراً أحق ! »
وتشبث اللادي هيلدا بأشلى وصاحت : « إنه أبي ...
فاركح له مني ، لعله يففر لنا ويصفح عنا — وكانت هذه علة رجتها — نعم ! ما أراه إلا فاعلاً ذلك ... نعم سيففر لنا ويصفح عنا ... » ثم استدارت نحو الشيخ التليل وقالت له :

« أبتاه ! أخلق بك أن تجمل للخوف والشك في صدر ابنتك موضعاً ومجالاً ؟ أخلق بك أن تدع الرعب يلاطم الأمل في فؤادي ، وتترك الريب يزاحم الفتحة في قلبي ؟ أبتاه ! اصنع بابنتك ما تشاء واعف عن هذا الغلام ، فأنا التي أمنتته وشجنته على هذا اللقاء ! »

ولكن البارون الشيخ وقف ثابت الركن شامخ الأنف ، أصيد مهيباً ، وقور الجانب ، محصن النفس من كل ما عساه يهجم على القلب من دواحي الخنان وعوامل الرحمة . وكان عدا ذلك المظهر قوى الصوت ، شديد النظر ، ساكن الأوصال — وهي علامت ضمير ليس بالساكن ولا الهادي — وكذلك جعل يرنو إلى ابنته ولا يجيبها ، ثم التفت إلى آشل وكان الدم في وجته الفتى يذهب ويجي ، وقد قام متأهباً للحملة على من عسى يلبي دعوة الشيخ من خوله وجنوده وعسسه وأحراسه . وكانوا جميعاً أشداء ذوي بأس وأسر متين

وقال البارون كرهة أخرى : ضع سيفك ياغلام ، فقال الفتى : لا ! ما دام هذا الساعد مطلقاً ! فايضت وجنة الشيخ ، لا رهبة ولا فرعاً ، ثم استخرج من نطاقه محسماً فقال : « على رأسك إذن دمك ! » ثم أقبل يتأمل الزناد فألفاه صالحاً حديث العهد بالقدح ... وبعد ذلك أقبل يهيهه للرمية القاضية ... وكان لتلك التهيئة صليل يخشى وقمه في الأذن وهو نذير الردى . تهباً الشيخ للإطلاق ، ولو أطلق لوقف شيئين معاً : حياة اللورد الشاب عاشق كرميته ، وبراعة المؤرخ ، كاتب هذه الأسطر^(١) ، ونظم شيئين معاً : عمر الفتى وقصتنا التاريخية ، ولكن هيلدا وهي أشد من أبيها عناداً وأنفذ صرامة وأصب شكيمة ، ألفت بنفسها دون الغلام وصاحت :

(١) أي المؤلف سير جون وارد

واجتذب الشيخ الفتاة إليه بأمرع من لمح البصر وحال الجند
بينها وبين حبيبها فجاهدت عبثاً أن تملص من قبضة أيها. وكيف
وقد كان التماق ذراعيه حولها كالتغافة الأفعوان؟ وشد الجند على
لورد آشلى شدة فارس واحد. ولكن آشلى حمل بالسيف على أولهم
فشق كتفه وألقاه يتخبط في دمه، وعلى الثاني فشق وجنته.
أما الثالث وكان سيافاً حاذقاً فقد جعل يروغ من ضربات قرنه
اللورد الشاب حتى أصاب غرة منه فضربه فجندله صريعاً ينضح
دماءً من طميتين إحداهما في الذراع والثانية في الرأس، ثم غلّوه
حيث خَرَّ وأخذوه من الحجره وأوما لهم البارون المورتوران امضوا
به إلى الساحل حيث كانت سفن ترحل وتبحر فدعوه زورقاً
وأعملوا المجاذيف حتى بلغوا السفن، وكانت منضودة ضففاً فوضعه
في إحداهما. أما الفتاة بعد أن رأته حبيبها جريحاً أسيراً، فقد
غشى عليها، وما زالت في ذبول ونحول اثنتي عشرة ليلة ثم أسلمت
الروح بلائنة ولا زفرة. محمد لطفي محمد

ظهر اليوم كتاب

قصة الميكروب

كيف كشفه رجاله

تأليف المؤلف العالي الدكتور «كرويف» وتحرير

الدكتور أحمد زكي بك

يضم لمجهر الناس في لغة سهلة، حكاية الميكروبات
من لندن كشفها لأول إلى جيلنا الحاضر

الثن ١٢ قرشاً عدا أجرة البريد
يطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

المدرسة العصرية

لتدريس اللغات الفرنسية والانجليزية

والرسم بالمراسلات وبالمدسة

الشروط ترسل مجاناً وقت الطلب

١٢٦ شارع عماد الدين — القاهرة

« إذن إلى كبدى فلتسدن سهمك أو قذيفتك النارية ،
فتلتقى جذوتان! (١) . فإنها خطيئتي لا خطيئته ، وما كان مجيئه
هذا القصر عمداً ، وإنما طوح به إليه القدر ، بعد الحركة التي
خرجت منها ظافراً ، وأوردته صروف الزمان . وقد أعطيته ذمتي
وعهدى ، وما كنت قط للعهد بخافرة ولا للوعد بمخلفة . وإلى
لأجبه فوق ذلك ، وأقديه بنفسى وأقيه بهجتي ... إني يا والدى
أعرف صرامتك ، وأردت أن أعرفك صرامة ابتك ، وإن
وراثتنا لا تكذب ، والدم الذى يجرى فى عروقك وعروقي
لا يخون ! »

لقد كانت الفتاة منذ لحظة كلها ورقة ولين وطفولة بريئة
ونومة طاهرة ، ساجية الطرف ، خافقة الأحشاء ، فإذا هي كلها
جراً وإقدام ، راسخة الوطأة ، سامية النظر ، كأنها قدت من
الصخر الأصم أو هي الطود الأثيم !

وكانت هيلدا بريكفيلد بارونس أوف كليرمونت مديدة القامة ،
فأنلمت وتطاوكت تعالياً وخيلاء ... وصادت لحاظ أيها من لحظاتها
بما هو أشد وأقسي ، ولكنها لم تعد بدأ لنع الشيخ مما ظل
يحاول ، لأنها لم تخف عادية الردى ، كأنها تراح لطارق الموت
وتهش للأجل المتاح ، وجعل الوالد ومن ولد يتبادلان النظر . فا
كان أعجب قرب الشبه بينهما ، يالها من أسد وفلذة كبده !
وتوقف البارون برهة ، ثم رد سلاحه إلى نطاقه ، ولكنه
وقف يقذفها بنظره كأنما يريد أن يفضى بصره إلى غبآت ضميرها
ثم قال :

ما أنا (٢) من أراد بهذا الغلام سوءاً ، وما أنا من جلب
ما قد تربته الآن من الشر والأذى ، وقد يندر من يصاب بمثل
ما نالني من انتهاك الحرمه والندر فلا يسفك دماً ولا يزهد نفساً
يبد أنى سأفعل الواجب وإن أظلت أنت به وأشأت أداءه .
فليقين حسامه وإلا ورأس أمك لأدعن رأسه على هذه الأرض
ثب وتندرج وتصبغ الصخر باللون القرمزى (٣)

ثم رفع البارون بوقه إلى فمه فنفض فيه ، وإذا بيوق يجيئه
من خارج القصر ودخل عشرون رجلاً مدججاً ببدون مسرعين
على رأسهم قائد وصاح البارون « اقتبسوا على الغلام أو اذبحوه .

(١) جذوة كبدها ونار الرصاص .

(٢) في الأصل Who Not I

(٣) لون الدم